

علم النفس والأسواق



الدكتور لويس حبيقة
خبير اقتصادي

تقنيات مختلفة يأمل أنها ستجلب له الربح. هنالك اذا حدود منطقية لتصرفات الانسان حتى لو كانت التكلفة عليه وعلى قدراته المالية كبيرة.

تقول العلوم الاقتصادية الأساسية أن الأسعار تعكس كل المعلومات المرتبطة بعامل العرض والطلب. في الحقيقة المعلومات ليست دائما متوافرة بسرعة وبشكل كامل وصحيح. ما يسبب خضات كبرى وخسائر أكبر. فالأسواق لا يمكن أن تعطي دائما نتائج فضلى. اذ غالبا ما تكون هنالك عوائق تعرقل توازنها بسرعة ولصحة المتعاملين فيها. من هذه العوائق صعوبة التواصل بين الأسواق الجغرافية المختلفة ما يسبب حصول أسعار مختلفة لنفس السلع. وهذا ما ترفضه الأسواق الشفافة الفاعلة. كما أن عملاء السوق لا يتصرفون دائما بالشكل الفاضل والمنطقي المتوقع منهم. هنالك مثلا من ينفق الكثير دون حساب أو من يشرب أو يدخن أو يأكل الكثير فيضر صحته. هنالك من يتعب كثيرا لجني الدخل القليل وثم يتبرع بقسم مهم منه لذوي الحاجات المادية والفقراء أو ينفقه على حاجات غير ضرورية ومضرة. تصرفات الانسان ليست دائما فضلى أو كما تفترضه له العلوم الاقتصادية.

تقول العلوم الاقتصادية الأساسية أن الانسان منطقي ويسعى دائما للفوز من جميع النواحي أي خصوصاً في الاستهلاك والاستثمار. تقول أن الانسان منطقي وقادر الى أقصى الحدود. يملك ارادة قوية جدا وهو أناني الى أقصى الحدود أيضا. الاقتصادي «هربرت سايمون» كان أول من اعترض على هذه الافتراضيات ووضع نظرية «المنطق المحدود» ما ساهم في حصوله على جائزة نوبل للاقتصاد لسنة ١٩٧٨. من نتائجها أن الانسان يتصرف أحيانا بمنطق مقبول وليس مرتفع أي يمكن أن يكون الانسان متفائلا أو متشائما. له ثقة كبرى بنفسه أو العكس وهي جميعها تنعكس على تصرفاته في السوق وفي الحياة عموما. من الممكن أن يستثمر الانسان في السوق دون الحصول على معلومات كافية أو يتأكد من صحتها. فيتسرع ويخسر أو يربح. طبيعة الانسان معقدة لا شك الى أقصى الحدود وتصرفاته يمكن أن تكون غريبة ومفاجئة.

لم تتوقف الدراسات المماثلة مع «سايمون» بل توسعت مع الوقت لتصل الى «ريتشارد تايلر» فيحصل في ٢٠١٧ على جائزة نوبل للاقتصاد. ارتكزت نظريات تايلر على دمج علم النفس بالاقتصاد فوسعه وأسنه فتعلقت به حكومات عدة بدأ من بريطانيا التي أنشأت وحدة خاصة له في رئاسة الوزراء. يريد تايلر تشجيع المواطنين على اتخاذ قرارات لمصلحتهم أو تسهيل ذلك كما على التصرف في الجهات معينة

بارادتهم كدفع الضرائب مثلا. اذا عرف الاقتصاديون كيف يفكر المواطن. يمكنهم توجيهه نحو التصرف الأفضل له ولعائلته كما للمجتمع.

ما هي بعض الأمثلة التي يمكن أن تفسر ما آلت اليه العلوم الاقتصادية حتى «تايلر». وبالتالي مساهمتها في تفسير الوقائع والتطورات على الأرض. هنالك وقائع تشير الى أن الانسان يشعر بالخسارة أكثر بكثير من الربح. يقيم الأصول التي يملكها أكثر بكثير من تلك المملوكة من غيره ما يقيد عمليات التبادل التجاري.

أولاً: عندما يحصل المواطن على فاتورة بطاقة الائتمان. يسدها من حسابه الجاري وليس من حساب التوفير حتى لو لم تكن في الأول أموالا كافية. ذهنية الحفاظ على التوفير تبقى في عقل الانسان للحماية ولمواجهة أيام سوداء يمكن أن تأتي.

ثانياً: حاول تايلر دراسة كيفية زيادة التوفير كما زيادة التحصيل الضرائبي أي تشجيع المواطنين على التصرف الصحيح تجاه المجتمع والدولة. كما شجعه أيضا على الاهتمام بصحته وتخفيض استهلاك الطاقة بارادته الحرة.

ثالثاً: عندما تنخفض أسعار النفط. يتحول المواطنون الى النوعية الأفضل بدل الاستفادة من الأسعار الأدنى وهذا ما نشهده في كل الدول. يطالب المواطن بتخفيض أسعار الطاقة التي لا تنعكس على انفاقه لأنه يغير تركيبة السلة الاستهلاكية.

رابعاً: معظم أصحاب سيارات الأجرة يضعون لأنفسهم هدفا ماليا محددًا لليوم الواحد. وبالتالي يتوقفون عن العمل باكرا في الأيام التي تضح بالزبائن كما يعملون ساعات أطول في الأيام التي ليس فيها طلب مرتفع. منطق زيادة الدخل يشير الى عكس ذلك تماما. لكن تصرف السائق هو كذلك لأن الهدف محدد مسبقا.

خامساً: في بريطانيا ومنذ سنة ٢٠١٢ وبتوجيه من «تايلر» أعطي الموظفون حرية الانضمام الى مؤسسات الضمان الاجتماعي الخاصة كما طريقة الانضمام. خيروا بين تسديد مساهمتها في المؤسسة مباشرة أو سحبها من الأجر شهريا وقيام رب العمل بالتسديد عنهم. الخيار الثاني الذي أعتمد كان الأفضل وساهم في زيادة التوفير العام في بريطانيا ما انعكس إيجابا على أوضاع العمال واستقرارهم الاجتماعي. كما ارتفع عدد المنضمين الى مؤسسات الضمان من ٧.٢ مليون عضو

في ٢٠١٢ الى ٧.٧ مليون في سنة ٢٠١٦. دفع المواطن نحو الخيار الصحيح بحرية هو قلب النظريات الجديدة.

سادساً: في مسألة تبرع الأعضاء. اعتمدت اسبانيا على نظريات تايلر التي تفترض أن كل مواطن متبرع الا اذا اختار العكس. من الوسائل التي يقترحها تسجيل المواطن كمتبرع عندما يقدم طلب لرخصة قيادة السيارة او عند تجديد ميثاقه. في كل حال. اسبانيا هي المصدر الأول في العالم للأعضاء الجاهزة للزرع. فرنسا تبعت اسبانيا وهنالك مؤشرات بأن بريطانيا والدانمارك واستراليا وكندا ستبعت أيضا قريبا. بالرغم من أن العديد من الخبراء يضعون أسئلة حول طريقة الاختيار المعكوسة. الا أن السياسة أعطت نتائج ايجابية قابلة للدرس في المجتمعات الأخرى. الهدف يحدد الوسيلة شرط احترام حرية المواطن في خياراته.